

# الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل

أ. د. أحمد زياد محبك

جامعة حلب - سوريا

**مقدمة:** أول ما قد يفهمه المرء من المقدرة اللغوية هو امتلاك عدد أكبر من الألفاظ، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين، وهذه هي بعض أشكال المقدرة اللغوية، وليست كلها، إنّ المقدرة اللغوية تتضمن عدة مهارات، هي: التواصل القراءة، الكتابة، الفهم، التفكير تحصيل المعرفة، امتلاك الثقافة، تحقيق الهوية القومية، وهذا العرض لهذه المهارات لا يعني الترتيب، في مهارات متكاملة، ولا يعني أنّها بمثل هذا التبسيط، إذ تتضمن كل مهارة عدة مهارات أخرى فرعية، والمطلوب فيها جميعاً هو التحسين والارتقاء نحو الأفضل وليس مجرد الأداء.

والمرجو أيضاً ألا يتوقع من الحاسوب أن يكون العصا السحرية التي بإشارة منها وفق الخيال يتحقق كل شيء، فما الحاسوب إلا أداة معينة، ويبقى الدور الأول هو للإنسان الذي يتعامل مع الحاسوب، ولكن ذا لا يلغي الدور الكبير للحاسوب.

**أولاً- اللغة والحاسوب:** إنّ الحاسوب مثله مثل المعجم، أو الآلة الحاسبة والمعجم لا يصنع من قارئه متمكناً من اللغة، وإن كان يساعده على ذلك، كما أنّ الآلة الحاسبة وحدها لا تصنع من المتعامل معها متمكناً من الرياضيات، وإن كانت تساعده على ذلك.

إنّ اللغة وسيلة والحاسوب أداة، والفرق بين الوسيلة والأداة واضح، فالوسيلة عنصر مكون يدخل في العمل ويبقى داخله، ولا يزول إلا بزواله، والأداة شيء خارجي معين، يساعد على إنتاج العمل، ولكنه يبقى خارجه، ويزول والعمل لا يزول، فالألوان في اللوحة والكلمات في القصيدة والحجر في التمثال والنغم في اللحن وسائل، والريشة للوحة والقلم للقصيدة والإزميل للحجر والقيثار للحن أدوات ولذلك لا يغير في العمل إن كانت الريشة من شعر حصان أو من ألياف صناعية أو كان الإزميل يدوياً أو

كهربائياً، أو كان القلم من حبر أو رصاص، أو كانت الكتابة بخط اليد أو الحاسوب، أو كان القيثارة عادياً أو إلكترونياً، وفي الحالات كلها يظل الدور الأول للإنسان، ولكن لا يمكن إنكار دور الأدوات، لأن لها تأثيراً لا يمكن أن ينكر.

لقد اعتاد الإنسان على اختراع أدوات مساعدة، فقد اخترع العجلة ليتمكن من نقل الأشياء الثقيلة والانتقال، فوفر الوقت والجهد، وحقق السرعة، واخترع المنظار فزعم قدرته على الرؤية، واخترع السماعه فعمق قدرته على السمع، وما زال يخترع ولقد كان يسير آلاف الأميال على قدميه، فهو اليوم لا يقطع مئات الأمتار إلا بوسيلة من وسائل الانتقال، وقد اخترع أدوات كثيرة، وطور فيها، وطور بها حياته.

ومن الأدوات التي اخترعها الإنسان الكتابة ثم الأبجدية، وهي للكلام كالنظارة للعين والمعمل لليد، وكما ساعدت النظارة العين وكما ساعدت المعول اليد، كذلك ساعدت الأبجدية اللغة، ولولا الكتابة ولاسيما الأبجدية لما حفظ الإنسان خبراته ولما طورها، ولا يقل اختراع الطباعة، ولا يقل أهمية أيضاً عن اختراع الحاسوب، بل ربما كان اختراع الأبجدية هو الأهم، إذ لولا اختراع الأبجدية لما كان اختراع الورق ولا المطبعة ولا الحاسوب،

ولا يمكن القول إن الإنسان اخترع اللغة، لأن اللغة هي نتاج تركيبه العضوي ومركزها في الدماغ، وأدواتها الجهاز الصوتي، المؤلف من الفم والأسنان والشففتين واللسان والحلقوم الحبال الصوتية والرتين، إن ما اخترعه الإنسان هو الكتابة أولاً وأشكالها المختلفة ثم الأبجدية.

ولكن مما لا شك فيه أن اللغة هي ما يميز الإنسان، "إذ كما يقول هيدجر:" فقط حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً إلا في عالم اقتضى ذلك أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ، فاللغة هي التي أوجدت الحضارات إذ إن الذي يمنع الحيوانات من أن تكون حضارة هو في المحل الأول هو افتقارها للغة وبالتالي عدم وجود قدرة كلامية وفكرية تساعدها على مواصلة تجاربها وخبراتها وكما يقول هوجز: "فما يكتسبه القرد مثلاً من معرفة في حل مشكلة ما يظل خبرة استقرارية رابدة مقصورة عليه هو وحده وقد يتذكرها حين يصادف نفسه إزاء مشكلة مشابهة أو موقف غير مماثل، ولكنه في الفترات التي تتخلل ذلك لا يمكف

على التفكير في تلك الخبرة أو التجربة بقصد تحسينها أو استخلاص أي نتائج منها في حل المشكلات الأخرى، مثلما يفعل الإنسان الذي يناقش مشكلة عن طريق اللغة ويفكر فيها بعد انتهائها ليرى ما إذا كانت هناك تطبيقات أخرى ممكنة لتلك المعرفة، فباللغة والتفكير تكون خبرات الإنسان وتجاربه مستمرة متصلة وهذا يساعد على تطويرها وتتميتها، فوجود اللغة يساعد الإنسان على أن يشارك الآخرين خبراتهم وأفكارهم مثلما ينقل إليهم هو خبراته وأفكاره، وذلك بعكس الحال القردة العليا التي تعجز عن نقل خبراتها على الأقل بالطريقة نفسها وعلى المستوى نفسه من التفكير المجرد الذي نجده في الجماعات الإنسانية ومن هنا كانت الميزة الكبرى التي يتميز بها الإنسان هي القدرة على نقل تلك الخبرات التي تؤلف في آخر الأمر التراث الحضاري أو الثقافي من جيل إلى آخر عبر الزمن." (السيد ص 19)

ولقد قام كيلوج بتجربة مثيرة على القرد جيوا وطفلها دونالد، فقد ربيا الطفل والقرد معاً بالمنزل، لعدة أشهر، وبينما كان القرد قادراً على انجاز الكثير من الأنشطة الحركية الملحوظة، وأكثر قدرة على القيام بكثير من الاستجابات الحركية، إلا أنه لم يكتسب أبداً القدرة على الكلام الحقيقي، لقد كان قادراً على الاستجابة للأوامر البسيطة التي توجه إليه مثل قف واذهب، ولكن لم يكن هناك دليل على قدرته على ربط استجابة صوتية ما بشيء معين، أو مجموعة من الأشياء." (غنيم، ص 91)

واللغة ليست وسيلة تواصل فحسب، فهذا هو الحد الأدنى من وظيفة اللغة وبهذا المعنى تمتلك بعض الكائنات لغاتها، كالنحل والنمل والطيور والقردة، ولكن اللغة التي يستخدمها الإنسان كله، فهي ليست من أجل التواصل أو التفاهم فحسب ولو كانت كذلك لثم فيها الاكتفاء ببيعه أصوات، أو لما كان فيها النظام النحوي والصوتي، ولما كان فيها المجاز، ولو كانت لغة تواصل حسب لثم الاكتفاء بالقول: موجة بحر، ولما قيل: موجة حر، وموجة غضب، وموجة تغيير وموجة جنون، ولو كانت للتواصل لثم الاكتفاء بالقول: تثمر الشجرة والشجرة تثمر، وأثمرت الشجرة، وكانت الشجرة مثمرة، وسوف تثمر الشجرة، فاللغة تتجاوز التواصل، فهي تنقل الانفعال بوضوح ودقة وتعبر عنه وتسمية وهي تحفظ الخبرات والتجارب وتحولها إلى معطيات

وحقائق وعلوم، وهي وسيلة لإبداع الآداب والفنون، وهي وسيلة لتطوير العلوم، وهي الحافظة لثقافات الشعوب والحاملة لهويتها، وربما لولاها لما تطورت حياة الإنسان. وكما يقول بيكرتون: "إنّ اللغة الإنسانية لا تقف عند حدود التعبير عن رغبة الفرد أو مشاعره، ولا عند التأثير في الآخرين، مع أننا كثيراً ما نستخدمها في أداء هذه الوظائف بل تعبر أيضاً عن كم لا نهاية له من المعلومات التي تقتصر على أرقام الهواتف والمهن والأذواق في اختيار الموسيقى وألوان الطعام، بل تشمل أيضاً حجم الكرة الأرضية الحقيقي، وعمر الكون التقديري، والمبادئ الأساسية في التسويق والرياضيات وطبائع الخنافس وسلوك البروتونات، والأحداث التي شهدتها مدينة مدريد يوم 2 مايو أيار 1808، وهذه جميعها أشياء لا علاقة لها بما يريد المتكلم أو الكاتب في لحظة الكلام أو الكتابة." (بيكرتون ص 5).

إنّ تنمية المقدرة اللغوية لا تعني أن يصبح المرء متمكناً من اللغة مجيداً للكلام أو الحوار وحسب، بل تعني أن يكون قادراً على الفهم، والتفكير في تلقي العلوم والمشاركة في البناء والتطوير، وأن يحتفظ بهويته القومية، ويتمثل ثقافتها وعاداتها إنّ تنمية المقدرة اللغوية لا تعني أن ينظم المرء الشعر، أو يكتب قصة أو يحفظ كلمات معجمية، إنّما تعني أن يمتلك الوسيلة التي يحقق بها ذاته، ويثبت حضورها وبها يتلقى العلوم، ويطور حياته.

ويمكن أن نتحدث في اللغة عن مستويين، الأول من اللغة يتمثل في النحو والقواعد والمعاجم والمفردات والأصوات ومؤلفات الأدب والعلوم وملايين الكتب المطبوعة، وهذا المستوى من اللغة ذو مستويات أيضاً، والمستوى الثاني من اللغة يتمثل في الكلام اليومي الذي يقال في السوق والبيت والشارع والاجتماعات والاحتفالات والندوات ويلقى في المدارس والجامعات والمؤسسات الثقافية، وهذا المستوى من اللغة ذو مستويات أيضاً، والمقدرة اللغوية هي ممارسة المستويين السابقين، أي أنّ المقدرة اللغوية هي امتلاك القدرة على التفكير والكلام والقراءة والكتابة وتلقي العلوم وتطوير الذات وامتلاك الثقافة وتمثل الروح القومية، وهذه المقدرة يمارسها الإنسان، ولا يمارسها الحاسوب، ولا يقوم بها، ولكنه يعين عليه.

ولذلك لا بد من التمييز بين اللغة وممارسة اللغة، قد توجد اللغة في الرقم الطينية أو في ملايين الكتب المطبوعة أو في الحاسوب، أو قد توجد في أجهزة التسجيل المرئي أو المسموع، وهذه كلها أدوات معينة على ممارسة اللغة، وليست اللغة نفسها، اللغة هي في الدماغ، والدماغ هو الذي يحقق وجود اللغة، ويمكن توضيح الأمر على الشكل التالي: في القدر يطهى الطعام، والمعدة هي التي تهضمه، وفي الحاسوب تجمع اللغة، والدماغ هو الذي يمارسها.

إن الدماغ هو الذي يقوم بعملية تركيب الجملة، وتحميلها المعنى، وهو الذي يقوم بإدراك المعنى الحسي المباشر، والمعاني المجازية، والمعاني الإيحائية، وهو يصنع ما في الجملة من تركيب نحوي، من تقديم وتأخير وما في الكلمة من اشتقاق، والدماغ هو الذي يدرك ذلك كله، والحاسوب لا يصنع شيئاً من هذا، إنما يقدم تسهيلات تعين على سرعة التأليف ولكنه لا يؤلف، هناك برامج لاكتشاف الأخطاء الطباعية والإملائية، وقد تكون هناك برامج لتصحيحها فوراً، وفق ما يزوده الإنسان من برامج، ولكن لا يملك القدرة على التصحيح النحوي، ولا يمكن أن ولا على تركيب جملة، ومن الصعب تزويده ببرامج يصحح بها بناء الجملة، لأنّ بناءها متغير، ولا يقوم بناء الجملة دائماً على ورود الفعل أولاً ثم الفاعل ثم المفعول به ثم الحال ثم الجار والمجرور، إذ غالباً ما يحدث التغيير في مثل هذا الترتيب في معظم لغات العالم من أجل قيمة بلاغية، ولا يمكن أن يفرض على الحاسوب ترتيباً ثابتاً، كما لا يمكن أن يقترح احتمالاً من بين احتمالات كثيرة، ففي جملة مثل: "قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم" تقع احتمالات بناء كثيرة، منها:

- 1- قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم.
- 2- سريعاً قدم النادل صحناً إلى الزبون في مطعم مزدحم.
- 3- في مطعم مزدحم قدم النادل صحناً إلى الزبون سريعاً.
- 4- صحناً قدم النادل إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم.
- 5- إلى الزبون سريعاً قدم النادل صحناً في مطعم مزدحم.
- 6- النادل قدم صحناً إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم.
- 7- قدم النادل في مطعم مزدحم صحناً إلى الزبون سريعاً.

- 8- قدم النادل سريعاً صحنناً إلى الزبون في مطعم مزدحم.
- 9- قدم في مطعم مزدحم النادل صحنناً إلى الزبون سريعاً.
- 10- قدم النادل إلى الزبون سريعاً صحنناً في مطعم مزدحم.
- 11- قدم النادل سريعاً إلى الزبون صحنناً في مطعم مزدحم.
- 12- قدم النادل إلى الزبون سريعاً في مطعم مزدحم صحنناً.

كما لا يمكن أن يميز الحاسوب بين: موجة البحر، وموجة الحر، وموجة البرد وموجة الحمى، وموجة الإبداع، وموجة الغلاء، ولا يمكن أن يميز بين معاني كلمة ضرب في الجمل التالية: "ضرب الرجل الولد" و"ضرب الرجل مثلاً" و"ضرب في الأرض" و"ضرب عشاء دسماً"، كما لا يمكن أن يميز بين مستعمر ومستعمر بفتح الميم أو كسرها.

إن لغة الإنسان تختلف كلياً عن الأشكال اللغوية التي تظهر بشكل ما عند بعض الحيوانات، وهذا الاختلاف لا يتمثل في عدد المفردات، أو في عدد البنى والصيغ إنما يتمثل في النوعية وفي الحرية الكبيرة لدى الإنسان في ممارسة اللغة، وفي اختراع ما هو جديد، يقول بيكرتون: "أما فيما يتعلق بكمية المعلومات أو درجة تعقيدها فلا مجال للمنافسة بين لغة الإنسان وما يسمى باللغات الأخرى... وليست القضية قضية تفوق عددي وحسب فلغة الإنسان نظام مفتوح، أما نظم التواصل عند الحيوان فمغلقة بمعنى أنه بغض النظر عن عدد الأشياء التي نستطيع أن نتكلم عنها، فإن باستطاعتنا دوماً إضافة ما هو جديد ..... إن التفكير بأشياء جديدة سيل لا ينقطع عند بني البشر إن قدرتنا المطلقة على إضافة ما نشاء إلى لائحة موضوعاتنا وعجز المخلوقات الأخرى في هذا المجال تدل على اختلاف في النوع وليس فقط في الكم". (بيكرتون، ص9)

ويؤكد بيكرتون أن اللغة ميزة إنسانية فيقول: "إن النحو وهو لب اللغة الإنسانية، وأكثر ما يميزها عن المحاولات اللغوية عند الحيوان، لا يمكن أن يكون مجرد اختراع أنتجت أفكار عباقرة أذكفاء، لأن لهم أدمغة ضخمة، وإذا لم يكن النحو من المخترعات فهو إذن نشاط يقوم به الدماغ آلياً، وإذا كان الدماغ يقوم بهذا النشاط آلياً فلا بد من أن يكون قد تطور بطرق محددة جعلت من الممكن إنتاج اللغة بشكل آلي، ولما كانت أدمغة أجيال لا حصر لها تعاقبت على مر العصور تنتج لغة

تتوافق مع ذات المبادئ البنيوية الثابتة، بصرف النظر عن اختلاف التفاصيل الدقيقة كالأصوات والمفردات، فإن بوسعنا الافتراض بأن آليات الدماغ التي تحدد اللغة تنتقل بالوراثة أيضاً". (بيكرتون ص35)

ويتلخص رأيه في قوله: "إن النحو صفة من الصفات البيولوجية للنوع الإنساني تماماً مثل قدرة الإنسان على الوقوف والمشي منتصب القامة، وميزة الإبهام في اليد البشرية لا أكثر ولا أقل". (بيكرتون ص37)

إنّ الدماغ البشري هو الذي يقوم باختيار بناء الجملة وفق غرض معين، ولا يمكن أن يقوم الحاسوب بمثل هذا الاختيار، حتى لو توافرت له أنماط الأبنية واحتمالات غير محددة، ومن الممكن تطوير برامج، تتفاعل بتحقيقها.

ولكن يبقى الحاسوب آلة معينة، ولا يمكن أن يحل محل الدماغ البشري، ولا يمكن أن يقوم بالعمليات التي يقوم بها الدماغ، إن الحاسوب يقدم تسهيلات ووسائل معينة، وهي خدمات كبيرة لا تقدر، كما يقوم بالتواصل والاتصال بين البشر في شتى بقاع الأرض، وينقلها بسرعة هائلة.

ولكن هذا كله يقتضي ألا نبالغ في تقدير قيمة الحاسوب ودوره في تنمية المقدرة اللغوية، كما يجب ألا نقلل منها أيضاً، فهو مثله مثل أي آلة، يملك طاقة عالية ولكن يبقى الدور الأول للإنسان الذي يستخدم هذه الآلة، والإنسان هنا هو الطفل. ولعل مثلاً تقريبياً يؤكد دور الإنسان؛ إنه لا يكفي أن تعطي الطفل معجماً مثل لسان العرب ليملأ به رفاً كاملاً من رفوف مكتبته، وتطمئن عندئذ إلى أنه أتقن العربية. لا شك أن الحاسوب سيوفر للطفل إمكانات كبيرة لا يوفرها له الكتاب ولا المجلة ولا المدرسة ولا المعلم نفسه، ولكن هذه الإمكانيات لا يمكن الاستفادة منها عفوياً أو تلقائياً.

**ثانياً- الميزات التي يمنحها الحاسوب:** يستطيع الطفل التعامل مع الحاسوب

قبل السنة الرابعة من العمر، ويمكن أن يعمل عليه وهو في الرابعة، ولو كان عمله في الألعاب، لأن الألعاب أياً كانت تنمي وعيه، وتقوي مداركه، وتزيد من حدة نشاطه وهي على الأقل تسلية والتسلية مطلب إنساني في الأعمار كافة، وهي لا تسلية فحسب، بل تربطه بالحاسوب وتعلمه سرعة التعامل معه، وخير وسيلة للتعلم هي اللعب، وسرعان ما ينتقل بعد ذلك إلى الاستفادة المباشرة، ويمكنه أن يتصل بمعلميه بواسطة الشابكة، وأن يرسل إليهم واجباته وأن يسألهم.

ويوفر الحاسوب الحرية، وعدم الخضوع لنظام المدرسة وقوانينها وما تضيغه من وقت، إن الحاسوب سيساعد الطفل على اختيار الموضوع الذي يريد في الوقت الذي يريد وفي المكان الذي يريد، ولاسيما عندما يتعامل مع الحاسوب المحمول فهو غير مقيد بزمان أو مكان وسيوفر عليه الوقت والجهد، ولن يخضع الطفل مع الحاسوب لسيطرة المعلم ومزاجه وقسوته وأخطائه، سيكون الطفل هو سيد نفسه وصاحب القرار، والمتحمل للمسؤولية، وسيفتح الحاسوب أمام الطفل آفاق المعرفة بما يوفره من معلومات، ولن يبقى مقيداً بمناهج قديمة لا تتغير إلا بعد أن يتجاوزها الزمن بسنين عدداً، يفرضها الكبار على الصغار، ويفرضها رجال ينتمون إلى جيل غير الجيل الذي يتعاملون معه، إن الطفل سيختار معلوماته، وسيملك من المعلومات أكثر مما يملك معلمه، وسيكون الطفل أكثر قدرة على التعامل مع الحاسوب من جيل المعلمين الذين جمدوا عند مستوى من المعرفة وعند نمط من الأداء، لم يطوروا أنفسهم، وهم يرفضون الحاسوب، ويتمسكون بالقديم لعدم امتلاكهم المرونة أو القدرة على التجديد.

إنّ الجيل الجديد من الأطفال يميل إلى كسر الانضباط، ورفض الالتزام بالأنظمة والقوانين والخروج على كل ما هو مقرر ومرفوض، ويجد العنت كل العنت في التعلم، بسبب هذا المزاج، وبسبب الأنظمة والقوانين المدرسية التي لم تتطور مع تطور الطفل في العالم وفي دخول الحاسوب في العملية التعليمية في المدرسة وفي البيت ما سيمنح الطفل قدراً كبيراً من الحرية، ويحقق له قدراً كبيراً مما يتفق ومزاجه الجديد، ومن الممكن أن يحقق الحاسوب في المدرسة مناخاً من الحرية يقلل من رتابة



التدريس وأساليبه الصعبة، وبإمكان المعلم أن يتلقى واجبات الطلبة على الحاسوب وأن يصححها لهم، وأن يتصل بهم عبر الشابكة، وأن يدخل معهم في حوار مباشر في منزلهم، وأن يقترب من مزاجهم، كي تتخلص العملية التعليمية من عوائق كثيرة.

يقول الدكتور المعتوق: "لقد أجريت بعض الدراسات على التلفزيون كوسيلة تعليمية، فوجد أن التعليم عن طريقه يقلل من تأخر الطلاب وغياباتهم، ويسيطر على ما لدى بعض المتعلمين من سلوك سيئ، كما ثبت أن الصفوف التي استعان المدرسون فيها بالتدريس بالتلفزيون أفضل من تلك التي درست بالطرق المعتادة فقط. وبذلك فإن التلفزيون التعليمي يمكن أن يكون في مقدمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللغة وتقريرها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعددة، بشرط أن تتوافر المادة التعليمية النافعة والتخطيط السليم في العرض والتوجيه السديد في الاستخدام، لئلا تتحول هذه الأداة إلى وسيلة ترفيه بحتة وأداة لقتل الوقت". (المعتوق، ص 190) وإذا كان التلفزيون يحقق ما يحقق، فإن الحاسوب يحقق ما هو أكثر.

إن الأطفال أقدر من الكبار على التعامل مع الحاسوب وأسرع في التأقلم معه وأكثر قدرة على الإفادة من تقاناته المتعددة، وهم أقدر على صنع برامج تخدم مناهجهم، وكما يقول جيتس: وعادة ما توتر الكومبيوترات أعصاب أي شخص إلى أن يفهمها، والأطفال هم الاستثناء الرئيسي هنا". (جيتس، ص 404)

يندفع الطفل إلى التعامل مع الحاسوب بحماسة وشوق ورغبة أكثر مما يندفع للتعامل مع الكتاب، لأنه مع الحاسوب يشعر أنه يتعامل مع تقانة علمية جديدة ويدرك أنه يتعامل مع أداة حضارية، وهذا مما يزيد من ثقة الطفل بنفسه، ويشعر الطفل وهو يتعامل مع الحاسوب بالبهجة والمتعة، لما فيه من حداثة وأساليب مسلية تجمع بين الجد واللعب، والحاسوب ينفي عنه الملل والكسل، ويساعده على التركيز، ويقلل من انشغاله بأمور أخرى، فالطفل يصبر على العمل في الحاسوب ساعات أكثر مما يصبر على العمل في قاعة الصف أو في التعلم مع الكتاب ويجعله في تنافس مستمر مع عالم واسع من المعلومات، وينمي الحاسوب شخصية الطفل ويجعله أقدر على الحوار والمحاجة والتفاهم والتواصل مع الآخرين وتأكيد الذات، ويمنحه الثقة بنفسه، كما

يزرع في نفسه الثقة بلغته العربية، ويؤكد له أن لغته قادرة على استيعاب معطيات الحضارة، والتعامل معها.

ويطور الطفل بوساطة الحاسوب مهارته في القراءة والكتابة والفهم والاستيعاب والرسم وإعداد البرامج، ويساعده على سماع العربية الفصيحة، وهي تؤدي الأداء السليم والجميل من خلال برامج تلاوة القرآن الكريم وإلقاء الشعر، ويساعد الحاسوب الطفل على حل كثير من مشكلات النطق والسلوك، كالتلعثم والتردد والارتباك، كما يساعده على النطق الصحيح للأحرف اللثوية والحروف القمرية ولاسيما الجيم والحروف الشمسية، وقراءة الأعداد مكتوبة بالكلمات، وتطبيق كثير من القواعد، ويعلمه فن الإلقاء والخطابة والمحادثة وإجراء المقابلات وفن الحوار. ويوفر الحاسوب للطفل قراءة سهلة واضحة ممتعة، إذ بإمكانه أن يتحكم بحجم النص والحرف ونوعه ولونه ودرجة الإضاءة، وأن يعلق على النص وأن يضيف إليه ويعدل فيه وأن يرسله إلى صديق وأن يطبعه، مما لا توفره صفحات الكتاب. ويعلم الحاسوب الطفل سرعة القراءة، وسرعة التفكير، إذ عليه أن يكتب بالسرعة نفسها التي يفكر فيها، وسرعة الكتابة على الحاسوب هي أكبر من سرعة الكتابة بالقلم على الورق، والنتيجة هي سرعة التأليف، كما أن سرعة الكتابة هي ناتجة عن سرعة القراءة التي يوفرها الحاسوب. وتساعد برامج الحاسوب على إنتاج أكبر وأسرع، كما يريح الحاسوب من مشكلة المسودة والمببضة والتنقيح وإعادة الكتابة، إذ يوفر الحاسوب إمكان القص واللصق والتقديم والتأخير والحذف والإدراج، وهي تقانات عالية السرعة توفر الوقت والجهد، وتتمى القدرة على الكتابة والقراءة، بل تجعل القراءة والكتابة ممتعيتين.

ويزود الحاسوب الطفل بمفردات جديدة في عالم الحاسوب، من مثل: إدراج إدخال، فتح إغلاق، عرض، إعداد، لوحة المفاتيح، القرص المرن، القرص الصلب، نسخ، قص لصق حذف، ويطلق مقدرته على اشتقاق مفردات تناسب الحاسوب أو ترجمة مفرداته إلى العربية، كأن يشتق حوسب ومحسوب من حاسوب، وهو يمتلك مصطلحات جديدة، من مثل: تخزين، وشاشة، وإضاءة وقص ولصق وإدخال وبرمجة وإعداد واتصال، كما يطلق مقدرته اللغوية على تعريب بعض المصطلحات من مثل:

(سيّف) حفظ و(كنصل) أغلق وألغى و(بلتس) أرسل للحفظ و(ديليت) حذف و( فرمت) أعاد التركيب و(ديسك) قرص و(سيدي) قرص صلب و(هارد) مُخزّن و( لابتوب) محمول، وإذا كان الطفل يجد نفسه مضطرباً لا شعورياً في مرحلة إلى التعريب، فإنّه سيجد نفسه في مرحلة تالية قد امتلك المقدرة على الترجمة.

ويبدو العمل على الحاسوب ممتعاً ومسليةً وكأنه لعب، لما يمكن أن يصاحب العمل عليه من سماع الموسيقى أو الأغنيات وما يكون فيه من ألوان ورسوم وتقانات التسلية، مما يجعل العمل ممتعاً، بخلاف المدرسة التي تفرض النظام القاسي الجاف الخشن. إنّ العمل على الحاسوب هو بحد ذاته سلوك، يخلق لدى الطفل عادة سلوكية مختلفة كلياً عن عاداته السلوكية الأخرى، ولاسيما عندما يعمل على الحاسوب المحمول، إذ يدرك أنّه يفعل شيئاً مختلفاً عن القراءة في الكتاب وراء الطاولة، وكل سلوك ينتج نمطاً لغويًا مختلفاً عن السلوك الآخر.

سيضع الحاسوب العالم كله بين يدي الطفل، ويفتح أمامه أبواباً ونوافذ لا يمكن التنبؤ بها إذ يمكنه أن يتصل بأصدقاء في العالم كله، وأن يقيم معهم علاقات منوعة، وأن يكتب لهم وأن يتكلم معهم، وأن يراهم وهو وراء الحاسوب في منزله ويعرف من خلالهم شعوب العالم بما لديها من عادات وتقاليده، فتتمو مداركه وتتسع آفاق معرفته، فتتمو لغته وتتطور وتغتني.

سيربط الحاسوب الطفل بمدرسة افتراضية، لا تقيده بزمان ولا بمكان، تمنحه ما يخطر على بال من أشكال العمل والمعرفة والثقافة، إنّ العمل على الحاسوب سيولّد ما دعتة ديل سبندر: "التشابك مع الشبكة"، وهو عنوان كتاب لها، وفي أحد فصوله تقول: "مدرسة المستقبل هي نموذج للمدرسة الإلكترونية التي لن يحتاج معها الطلاب إلى الحضور وسماع الدروس التي يلقيها المعلم، وذلك لأن الدروس تلقى من خلال الشبكة، وبذلك تكون الشبكة، بمنزلة وسيلة النقل بدلاً من المعلم كما أن الطالب الذي يستخدم الشبكة يكون أكثر معرفة من المعلم في بعض الأحيان، وذلك تبعاً لاهتمام هذا الطالب النموذج المثقل بالمعلومات، ومن خلال الشبكة يمكن للطالب توجيه أسئلة والحصول على معلومات وتغذية راجعة فورية، لا على الصعيد المحلي

فحسب، بل على المستوى العالمي بحيث يتم التفاعل على مستوى القرية العالمية".  
(سبندر ص 47 - 48).

إنّ الميزات السابقة التي يمنحها الحاسوب للطفل ليست مجرد ميزات أخرى غير متوقعة أو متوازية، وإنّما هي ميزات متفاعلة بين بعضها وبعضها الآخر علاقات، وهي تولد ميزات أخرى غير متوقعة، تغير في ذهنه الطفل وآلية التعامل معه، إن الحاسوب سيغير مستقبلاً كل شيء، نمط الدروس، وطرق الامتحان، وأساليب التعلم والتعليم. إنّ الآفاق المستقبلية للحاسوب وقدرته على تنمية اللغة عند الطفل غير محدودة ولاسيما خدمته الكبيرة للعربية الفصيحة، وهنا تكمن أهمية الحاسوب، إذ ستكون برامجه متطورة فنياً، ومشوقة، ومعدة بالعربية الفصيحة، وهي بذلك تساعد على تقليص الفوارق بين الفصيحة والعامية، وتساعد على نشر التعليم، وتعميق الثقافة وتأكيد ثقافة الكلمة بدلاً من ثقافة الصورة، وتنمية الشعور القومي، وتحقيق التقارب الثقافي والمعرفي والوجداني بين الأشقاء العرب في الوطن العربي.

إنّ إمكانات الحاسوب ووسائله المتاحة حتى الآن ليست بالقليلة، ويمكنها أن تحقق تنمية لغوية واسعة ومعقدة، إذا ما أخذ بها وطبقت في المنازل ورياض الأطفال والمدارس.

**ثالثاً- طبيعة العلاقة مع الحاسوب:** من المعروف بدهاء أن الإنسان يتعلم الكلام أولاً، ثم يتعلم الكتابة والقراءة والمرء لا يكاد يعرف كيف تعلم الكلام ولا يكاد يذكر، وهو يتعلمه ببساطة وعضوية، في المنزل بين أبويه، ومع إخوته، ثم في المجتمع، ولكنه يعاني بعد ذلك من تعلم الكتابة، ويكاد الكلام يكون عضواً ونتاج نمو عضوي، كأنه حاجة غريزية، كالحاجة إلى الطعام، في حين يبدو تعلم الكتابة والقراءة فعلاً إرادياً واعياً، وهو فعل منظم، وفيه قدر كبير من الصعوبة وكذلك الأمر بالنسبة إلى التاريخ والشعوب، فقد تكلم الإنسان أولاً، ثم اخترع بعد ذلك الكتابة بأشكال وطرق مختلفة، ثم اخترع الأبجدية.

"فمن ناحية النشوء النوعي تعلم الإنسان الكلام قبل الكتابة، ومن ناحية تطور الفرد كفرد، تعلم الطفل أن يتكلم قبل أن يكتب، ولهذا السبب ينظر إلى اللغة

المكتوبة على أنها لغة منطوقة دونت في نظام مكتوب مصطلح ومتعارف عليه ويعبر عنها بطريقة خاصة في الكتابة". ( غنيم ص93)

ولغة الكلام هي أدنى من لغة الكتابة، لأن لغة الكلام ارتجالية عفوية سريعة وهي نضوية غايتها التواصل، ولغة الكتابة هي لغة مختلفة، تحمل معلومات منظمة مرتبة، دقيقة، أو تعبر عن انفعالات ومشاعر ناضجة، وليست عابرة أو مؤقتة والفرق بينهما غالباً غير قليل، وتسمى لغة الكلام اللهجة العامية، كما تسمى لغة الكتابة اللغة الفصيحة، والفرق بينهما يزداد في حال انتشار الأمية والجهل والتخلف، ويقل الفرق بينهما في حال انتشار العلم وتحقق وسائل التواصل والاتصال.

لقد كان الكلام في العصور القديمة كافياً وحده، وكانت الحاجة إلى الكتابة قليلة لأن العلوم كانت بسيطة وقليلة، وكان الكلام وحده قادراً على حمل العلوم والثقافات، وكان التعويل على الكتابة قليلاً، وهي مرحلة الشفاهية، ولكن سرعان ما قويت الحاجة إلى الكتابة واشتدت، مع تراكم الثقافات ونمو العلوم والمعارف، على نحو ما كان في العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي، فكان الشعر يتناقل شفاهاً، كما كان القرآن الكريم يحفظ في الصدور، وكانت الخطب هي الوسيلة الثقافية المعبرة عن المجتمع، وكان الاعتماد على التدوين قليلاً، ولكن سرعان ما دون القرآن الكريم، وكتب منه النسخ، ووزعت على الأمصار، وظهرت الحاجة إلى تدوين الأشعار واللغة والأخبار، ثم بدأت المصنفات بالظهور.

والمقصود بالتمية تطوير المقدرة اللغوية، والانتقال بها باستمرار من مستوى إلى مستوى آخر أفضل من سابقه، وأجود، والمقصود بالمقدرة اللغوية المهارات اللغوية التي يمارسها الطفل من كلام وتواصل مع الناس وقراءة وفهم واستيعاب وكتابة، وتلق للعلوم والمعارف، وقدرة على التعبير عن الذات، وتحقيق الوجود والتواصل الفعال مع البيئة المحيطة، وتحقيق الهوية القومية والثقافية.

ولذلك فإن تنمية المقدرة اللغوية بواسطة الحاسوب لا بد أن تتم بأشكال مختلفة: من قراءة واستعمال وكتابة وفهم ومعالجة وتطوير برامج، إن المقدرة اللغوية ليست مجرد تمكن من اللغة، وإتقان نحوها وأساليبها، ومعرفة أسرارها والغوص

فيها، إنما هي هذا كلة، مقروناً بممارستها في الواقع، وفي ميادين العلم والمعرفة لتحقيق الذات، والحفاظ على الهوية وتحقيق الانتماء إلى الثقافة.

ويميل بعض المربين إلى المبالغة في الفصاحة، وفرض أنماط معينة من بناء الجملة وأنواع من الألفاظ الفصيحة البعيدة عن الاستعمال، كما يميل بعضهم إلى الإسهاب والتكرار والترادف والتطويل، وهم يقصدون إلى تعليم الطفل اللغة، وهي ظواهر وأساليب لغوية لم تعرفها العربية في عصور الازدهار الحضاري، فقد لحقت بها في عصور الجمود، حيث غلبت العناية بالشكل، ولا تتفق مع السمة المميزة للعربية وهي الإيجاز، ولا تساعد على تعليم اللغة، كما لا تتفق مع معطيات عصر العلم وسوف يساعد الحاسوب على كسر هذه الظاهرة وتجاوزها وسوف يعلم الحاسوب الطفل الإيجاز في اللغة والاقتصاد.

ولقد ظهرت مؤلفات لغوية تقوم على جمع الألفاظ وتبويبها وفق المعاني والدلالات، بغية تعليم الطفل اللغة، ومثل هذه المؤلفات لا تعلم اللغة، ولا تنمي المقدرة اللغوية لدى الطفل لأن المفردات وحدها خارج السياق لا تملك القوة على التأثير ولا تساعد على الحفظ، ولا تمكن الطفل من استعمالها، إن كلمة "طل" مفردة لا يمكن أن يحفظها الطفل، ولو شرح معناها، ولكن الطفل سيدرك معناها وسيحفظها فور قراءته مثل هذه الجملة: تسقط حبات الطل عن أوراق الأشجار في الصباح الباكر قبل شروق الشمس متألئة مثل دموع الفرح".

وظهرت مؤلفات لغوية أخرى تكشف عن الأخطاء الشائعة وتصويبها، ولا يمكن إنكار قيمتها، ولكنها تفيد المختص في المقام الأول، ولا يمكن أن تنمي المقدرة اللغوية، ولا سيما عند الطفل، لأن المقدرة اللغوية لا تنمو إلا بالتواصل مع الإجراءات اللغوية الصحيحة والسليمة: قراءة وكتابة ونطقاً واستماعاً، إن معرفة الخطأ وحده لا يكفي لكتابة سليمة، بل لابد من التمرس بما هو صحيح وسليم وجيد فهو أكثر تأثيراً، وبعض هذه المؤلفات يبالغ في التخطيء، فأحياناً تفرض هذه المؤلفات استخدام الكلمة بمعناها المعجمي، وتنسى المجازي، وأحياناً تفرض أسلوباً محدداً في بناء الجملة، مع أن بناء الجملة ليس قالباً ثابتاً، ولابد فيه من تقديم وتأخير وحذف، وفي أحيان كثيرة تغيب عنها أوجه هي من لغات العرب ولهجاتهم.

ولا بد من تأكيد قيمة ذات أهمية كبيرة، وهي النسق المعرفي، في مقابل المفردة المعزولة عن السياق، سواء أكانت هذه المفردة كلمة أو معلومة، إنه ليس من المفيد في شيء أن يزود الطفل في جلسة واحدة أو في كتيب واحد بمعلومات جزئية مفردة عن محيط الأرض وعن الروائي تولستوي وعن عدد دقات القلب وعن أعلى قمة في العالم وعن بيتهوفن وعن استقلال أمريكا، فهي معلومات جزئية مفردة، لا تشكل نسقاً معرفياً متكاملًا، ومن الأفضل للطفل أن يتلقى في جلسة واحدة أو في كتيب واحد معلومات وافية عن بيتهوفن والموسيقا السيمفونية، لأنها تشكل نسقاً معرفياً كاملاً، لا تتسى مفرداته. وتبرز هذه المشكلة أوضح ما تبرز في وضع المصطلحات، إذ من الصعب على من يعمل في الطب أن يضع مصطلحاً أو يترجم مصطلحاً في مجال علم النفس، ولكن من السهل على العامل في مجال الطب أن يضع مصطلحاً في عالم الطب أو أن يترجم مثل ذلك المصطلح، لأنه يتعامل مع نسق معرفي كامل هو الطب.

ولا بد من تأكيد قيمة أخرى وهي التراكم والتعليم المستمر والنمو مع الزمن إذ لا يمكن أن يغدو الطفل بين عشية وضحاها ضليعاً في اللغة، ولو استخدمت في تعليمه كل الوسائل التعليمية الحديثة، فالمعرفة لا تتحقق دفعة واحدة، ولا تتحقق مرة واحدة، ولا بد من التكرار والاستمرار والتراكم والنمو.

يقول الدكتور المعتوق: "إن ممارسة استخدام المحصول اللغوي المختزن في الذاكرة لا تزيد من حيوية وإنعاش هذا المحصول وحضوره الدائم في الذهن ومن فاعليته في التعبير وحسب، وإنما تعمل أيضاً على تنميته والإسراع في إغنائه، فمن الثابت في علم النفس أن الخبرات أو المعلومات القديمة تساعد على خفض الفترة الزمنية اللازمة لتعلم مهارات جديدة أو تلقي معلومات جديدة، وهذا المبدأ يتمثل بصورة أكثر وضوحاً في تعلم اللغة وتلقن مفرداتها وصيغها، فالمفردات المدركة شكلاً ومعنى والمختزنة في ذاكرة الفرد تعينه على تصور وإدراك مفردات أخرى مرتبطة بها أو مجاورة لها في كلام يقرؤه أو يسمعه، إذ إنها تخلق سياقاً معيناً يعين على إدراك واستيعاب ما لم يوجد في الذاكرة من قبل، وبالتالي تدخل العناصر الجديدة في الذاكرة بسهولة نتيجة لارتباطها بالعناصر القديمة، وقد تطرق فندريس إلى هذه

الفكرة بقوله: عندما نسمع جملة أو نقرأها نرى الكلمات التي تشتمل عليها يفسر بعضها بعضاً، فإذا كانت واحدة منها غير مألوفة لنا - والواقع أن هناك دائماً فترة في حياتنا نسمع فيها كلمة لأول مرة - حاولنا بطبيعة الحال تفسيرها معتمدين على سياق النص، وهذه هي الخطة التي يتبعها التلاميذ عندما يحاولون ترجمة نص أجنبي". (المعتوق، ص 278)

ويؤكد الفكرة ثانية بقوله: "ويمكن القول إنه كلما كانت العناصر القديمة أوفر كان الترابط أكثر ودخول العناصر الجديدة أيسر، وكلما قلت العناصر القديمة قلت نسبة الترابط، وصعب التصوير، وتعثّر رسوخ العناصر الجديدة في الذاكرة، لأن توافر العناصر القديمة يؤدي في الغالب إلى زيادة الفرص لإدراك معاني الكلمات الغريبة في سياقها الجديد". (المعتوق، ص 278)

رابعاً- **الطفل وتنمية اللغة بالحاسوب:** إنّ الحاسوب لا يعمل ولا بد من طفل يتعامل معه، ولا بد لهذا الطفل من الرغبة والإرادة والصبر والتصميم، ومساعدة المعلم في المدرسة والأهل في البيت، ولا بد له من حسن التوجيه، ودوام التشجيع، ولا بد له أخيراً من أن يدرك واعياً أنه حقق شيئاً، واستفاد، وأنّ مقدرته على الكلام والحوار والقراءة والكتابة قد تطورت وأن معلوماته قد نمت، حتى يشعر بجدوى التعلم ويستمر فيه.

إنّ الحاسوب يقوي شخصية الطفل، ويساعده على تحقيق التعليم الذاتي ويمكن أن يعد الحاسوب أفضل أداة لتحقيق هذا النوع من التعليم، "ويقصد بالتعليم الذاتي تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه بصورة دائمة ومستمرة في اكتساب المعارف والمهارات، ولا بد من توافر أربعة مكونات أساسية فيه، هي: وجود الدافع والحافز، إعطاء المثيرات والمعلومات المميزة، وقيام المتعلم بالاستجابة والنشاط في أثناء عملية التعليم، وإطلاع المتعلم فوراً على نتيجة عمله، والتعليم المبرمج أحد أساليب التعليم الذاتي". (السيد ص 286 - 287).

ولا بد أن يقتنع الطفل بأهمية تنمية مقدرته اللغوية، والفائدة منها، حتى يقبل عليها، لأن الإنسان عامة والطفل خاصة لا يهتم بأي شيء إلا إذا أدرك أهميته واقتنع بوجود فائدة من ورائه، وعليه أن يدرك أنّ تعلم اللغة ليس غاية في ذاته وإنما هو وسيلة



ليطور علاقاته مع العالم، ويحسن تلقي العلوم، وما وسيلته إلى تلقي الرياضيات والكيمياء والعلوم إلا اللغة، وليحسن التفكير، وليجيد التعبير وليقتنع بأن إتقان اللغة ضروري لتلقي العلوم وامتلاك الثقافة، وتحقيق الانتماء إلى الأمة والعصر والحضارة فإذا ما أدرك ذلك كله أقبل على تعلم اللغة وإتقانها.

إنّ على الطفل أن يدرك أنّه عندما يتقن اللغة إنّما يحقق وجوده بصفته إنساناً يتميز عن سائر الكائنات باللغة التي يتكلمها، وأنّه من خلال اللغة يتعرف على العالم، فاللغة تعرفه على المحسوسات في الكون، من جماد ونبات وحيوان وتعرفه على المعاني من حب وكره وغضب ورضا وحزن وفرح، حتى قبل أن يعيش مثل هذه المشاعر، وهو حين يعيشها يعبر عنها باللغة، فيعي ذاته، ويعيها، بل إنّ اللغة تعرفه على الدين وما وراء الطبيعة والمغيبات، واللغة تعلمه معنى الله والشيطان، وتعرفه على ما لا يراه، من كائنات أسطورية، فاللغة معرفة وحسّ ووجدان وخيال، بل هي تاريخ وجغرافية وفلسفة، هي المخزون الثقافي للبشرية.

يقول بيكرتون: "اللغة صورة منظمة عن العالم ومرتبطة بحث يمكننا تحديد عناصر المعلومات فيها بسرعة ويسر، فالصورة التي تجزئ مفهوماً عن الواقع إلى أجزاء مسماة وقابلة للاستفادة الفورية هي التي تجعلنا قادرين على الحديث عن العالم وعن كل ما فيه تقريباً، عن كل ما ندركه بالحواس على الأقل، وحتى عن عدد كبير مما لا ندركه الحواس، مثل الملائكة النيوترونات والقطر. لكن ما يسمى "لغة" (عند الحيوان) لا يمكن أن يمثل العالم ولا بأي شكل من الأشكال فلا لغة الإيمان ولا صيحات القرود أو حركاتها يمكنها أن تمثل العالم، إنّها تمثل شعور الإنسان أو القرود في تلك اللحظة، وهي بذلك تعبر عن رغباته ونواياه لا أكثر ولا أقل، فلا شيء غير اللغة يمثل العالم بأسره ذلك العالم الذي يحس به المخلوق ويتفاعل معه". (بيكرتون، ص13)

إنّ الأهداف من تعلم اللغة عديدة، ولا بد من توضيح تلك الأهداف للطفل، كي يقبل على تعلم اللغة، "إنّ تحديد الأهداف يساعد على وضوح الغاية ومعرفة الاتجاه، إذ إنّ وضوح الغاية شرط أساسي لبلوغها، كما أنّ هذا التحديد يساعد على اختيار الطريقة المناسبة لتحقيق الهدف، إذ لم تعد هناك طريقة واحدة تصح لتحقيق الأهداف

جميعها، وتناسب المستويات كلها الظروف والإمكانات جميعها فإذا ما كان الهدف واضحاً ومحددًا اختيرت الطريقة المناسبة، إذ عندما يكون الهدف واضحاً يحسن الاختيار، وهذا ما ينطبق على الوسائل والأدوات أيضاً". (السيد ص 285)

وعلى الطفل أن يدرك أنه إذا تكلم العربية فهذا لا يعني أنه يعرف العربية ويتقنها، فهو يعرف الكلام باللهجة العامية، وهي دون العربية الفصيحة وإن كانت امتداداً لها، وأنه لا يكفي أن يتكلم العربية ليحسب أنه يتقن العربية، إذ لا بد من تعلم العربية الفصيحة ودرسها، وهي غير العامية التي يتكلمها، ولا بد من إتقانها والتمكن منها، إن بعض الناس يقولون: "نحن عرب نتكلم بالسليقة"، ولكن عليهم أن يدركوا أن زمن السليقة قد انتهى، فالكلام بالسليقة كان في العصر الجاهلي وفي العصر الإسلامي، وفي حدود الجزيرة العربية، ولكن ما إن خرج العرب إلى الأمصار، ودخل العصر الأموي، واختلط العرب بالأعاجم، ودخل في الإسلام شعوب كثيرة، حتى انتهى ما يسمى السليقة، وكان الشاعر يضطر للخروج إلى البادية ومخالطة العرب الأقحاح حتى يتلقى عنهم العربية، أي حتى يتعلم الفصاحة والبلاغة وكان كثير من الشعراء والأدباء ينتجعون البادية ليخالطوا الأعراب، ويتلقوا عنهم العربية.

وقد يقال إن الطفل سوف يسيء استخدام الحاسوب، وسيستخدمه في اللعب ببرامج التسلية، وهي كثيرة، وسوف تستنفذ وقته وجهده، وتشغل تفكيره، ولكن من حق الطفل أن يلعب، وألعاب الحاسوب نفسها تمي مقدرته اللغوية، واللعب خير وسيلة للتعليم، كما أن الأطفال والكبار كانوا على مر العصور يلعبون وما زالوا، ولا بد من وقت للعب سواء في حضور الحاسوب أو في غيابه، وهل من طفل لا يلعب؟ بل إن اللعب ظاهرة صحية.

ومع استمرار الطفل في التعامل مع الحاسوب سيختار ولو بعد حين ما ينفعه ويترك ما لا ينفعه، يقول جيتس: "كلما ازدادت خبرة الناس في التعامل مع الكومبيوترات الشخصية تعلق فهمهم لما يمكن أن يفعلوه وما لا يستطيعون عمله وعندئذ تصبح الكومبيوترات الشخصية أدوات لا أشياء منطوية على مخاطر

فالكومبيوتر شأنه في ذلك شأن الجرار الزراعي أو ماكينة الخياطة ليس سوى آلة يمكننا استخدامها لمساعدتنا لأداء مهام معينة بكفاءة أكبر". (جيتس ص 404).

أن للآلة سحرها الخاص، وهي تجذب الإنسان إليها، وللجديد أيضاً سحره الخاص، ولذلك يتعلق المتعلم أياً كان عمره بما هو آلي وبما هو جديد، ومن الطبيعي أن ينجذب الطفل إلى الحاسوب، فالطفل ينجذب إلى الكتاب ذي الغلاف الجميل الجديد، وينجذب إلى اللوح الجديد النظيف، وإلى القلم المختلف المتميز، ومن الطبيعي جداً أن ينجذب إلى الحاسوب، وأن ينمي لغته بالتعامل معه.

إن الحاسوب - كما يرى جيتس - ينطوي "على إمكانية أن يصبح أداة لتعلية الذكاء الإنساني على مدى المستقبل المنظور، غير أن الأدوات المعلوماتية لن تصبح الاتجاه السائد في حقل نشر المعلومات حتى يصبح كل إنسان تقريباً مستخدماً للكومبيوتر وسيكون الأمر رائعاً دون ريب عندما تتوافر لدى كل فرد غني أو فقير حضري أو ريفي عجوز أو شاب إمكانية التعامل مع الكومبيوتر". (جيتس، ص 405) وليس حلم جيتس صعب المنال فكما أن كل فرد يحمل هاتفه النقال الخاص به كذلك سيكون لكل فرد حاسوبه المحمول الخاص به.

ولكن من المؤسف أن أكثر الناس يشتررون لأولادهم من الألعاب والهدايا ما تبلغ قيمته ثمن الحاسوب، وهم يشتررون الهواتف النقالة، ويبدلون جرياً وراء التطورات الحديثة فيها، كما يشتررون أجهزة الاستقبال المرئي، وينفقون عليها أضعاف ثمن الحاسوب، والسيدة في المنزل تزود مطبخها بأجهزة وأدوات يفوق ثمنها أضعاف ثمن الحاسوب، ولذلك فإن الفقر ليس مشكلة، إنَّما الجهل وغياب الوعي هما المشكلة.

#### خامساً - الحاسوب وخصوصية اللغة العربية:

في العربية خصوصيات تميزها، منها الفرق بين الفصيحة والعامية، أو اللغة المحكية واللغة المكتوبة، وهو فرق قائم في معظم لغات العالم، ولكنه في العربية أوضح، ويمكن أن يعد من خصوصياتها لسبب أساسي يتمثل في أن الفصيحة تحرك أواخر الكلمات، والعامية تلجأ في معظم الأحيان إلى تسكينها، وهذا السبب موجود في معظم اللغات، لأنها تلجأ دائماً إلى التسكين، ولا يتغير المعنى، بخلاف العربية وثمة أسباب أخرى للفرق بين العامية والفصيحة في اللغة العربية، منها عهود من

التخلف والفقر والجهل، وانتشار الأمية، وامتداد رقعة الوطن العربي على مناطق جغرافية متنوعة، خضعت لظروف تاريخية واقتصادية مختلفة، ولكن الفرق بين العامية والفصحى بدأ يقل بسبب انتشار التعليم وتطور وسائل الاتصال، وسيكون للحاسوب دور كبير في تقليص المسافة بين العامية والفصحى، ولكن ستبقى هناك لهجات عامية لا بد منها، وما هي ببعيدة عن الفصحى، وإن هي إلا أداء يومي سريع في النطق من غير إعراب للعربية الفصحى.

إن الآفاق المستقبلية للحاسوب وقدرته على تنمية اللغة عند الطفل غير محدودة ولاسيما خدمته الكبيرة للعربية الفصحى، وهنا تكمن أهمية الحاسوب، إذ ستكون برامجه متطورة فنياً، ومشوقة، ومعدة بالعربية الفصحى، وهي بذلك تساعد على تقليص الفوارق بين الفصحى والعاميات، وتساعد على نشر التعليم، وتعميق الثقافة وتأكيد ثقافة الكلمة بدلاً من ثقافة الصورة، وتنمية الشعور القومي، وتحقيق التقارب الثقافي والمعرفي والوجداني بين الأشقاء العرب في الوطن العربي.

ومن أهم خصوصيات العربية القرآن الكريم، فهو المصدر الأول للعربية، وهو كلام الله عز وجل، نزل به جبريل الأمين على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أودع الله تعالى فيه آياته المعجزات، فأكسب العربية الفصاحة والبلاغة والبيان وقوة التعبير وشدة التأثير، ومنحها البقاء والخلود، وحفظ أصواتها، فهو إلى اليوم ما يزال يقرأ بأصواته ومداته وسكناته كما سمعه الصحابة عن رسول الله، لأنه منقول بالتواتر، ولولا القرآن الكريم ما نشأت علوم اللغة والنحو والبلاغة والصرف والفقه والتفسير، ولأجله وضعت معجمات اللغة والشروح، ولأجله ترجمت كتب الفلسفة والمنطق ونشأ علم الكلام، وإلى اليوم ليس بإمكان المرء أن يكتسب الفصاحة إلا قرأ القرآن الكريم، وتعلم التجويد، ودرس مخارج الحروف، ولا يمتلك البلاغة والبيان إلا إذا درس القرآن الكريم، وعرف أسرار البلاغة فيه، فهو الحافظ لهذه اللغة، وهو الحامل لها، وبه كرمها الله، وبه جعلها مقدسة، ولا يمكن نزع القدسية عنها، ولو جهد المغرضون، لأنها هبة من الله، ولذلك فإن خير ما يمكن أن ينمي المقدرة اللغوية عند الطفل هو القرآن الكريم، بسماعه وتلاوته وتجويده وفهمه وتدبر معانيه وحفظه، وفي الحاسوب خير معين على سماع القرآن يتلى بنبرات وإيقاعات

كثيرة، ومشاهدة آياته تكتب بحروف مضبوطة ملونة بما يساعد على المتابعة والتلاوة والفهم، وثمة برامج تساعد على التلاوة، وأخرى تعين على الحفظ، وثالثة فيها شروح وتفاسير، وفي قرص صلب واحد يمكن أن يتوافر للطفل مكتبة قرآنية شاملة.

يقول الدكتور عبد الكريم الياي: "على أن أهم ميزة للغة العربية تشرّفها بنزول القرآن الكريم فيها حين أصبحت لغة الوحي ولغة اتصال الأرض بالسماء...ولقد حفظ العرب والمسلمون قرآنهم فحفظ لهم لغتهم، ولا شك أن استمرار اللغة العربية وخلودها متصل بالقرآن الكريم". (الياي، ص22)

ثم يؤكد قدسية اللغة العربية، ويعدها لغة الجنة، فيقول: "إذا تصور المسلمون أحوال الجنة في الآخرة وما ورد في حق أهلها من التمثيل بأحوال أهلها من التمثيل بأحوال أهل الدنيا فلا بد من أن يتخيلوا لهم، ولما كان القرآن الكريم كلام الله الذي تنزل على خاتم النبيين كانت لغة القرآن خليفة أن تكون لسان أهل الجنة". (الياي، ص 30)

إن العربية بفضل القرآن الكريم الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار في العالم كله ظلت مستمرة إلى اليوم لغة حية منذ خمسة عشرة قرناً، ولم تنقطع، وما قيل بها من شعر أو نثر قبل ألف وخمسمئة عام ما يزال يقرأ بأصواته ونبراته ويفهم، ويتمثل به الناس ويحفظونه ويشهد على ذلك الشعر الجاهلي والخطب والأمثال، كما يشهد على ذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي أحاديثه من الفصاحة والبيان ما ليس لسواه من البشر، وقد أوتي جوامع الكلم، ووصفه المولى عز وجل فقال: "وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى" (سورة النجم 53 الآيات 3-5)، كما يشهد على استمرار اللغة العربية وبقائها القرآن الكريم.

**خاتمة:** لقد ازدهرت في العصر العباسي صناعة الورق، وكثرت الكتب تأليفاً وترجمة، وانتشرت وجهد النساخ في الإكثار من نسخها، وبنيت دكاكين الوراقين، وأقيمت دور الكتب، وكان الكتاب يمثل تطوراً نوعياً، وبه دخلت الثقافة مرحلة من التطور، ولقد وصف الجاحظ (توفي 255هـ - 868م) في تلك المرحلة الكتاب، وعبر عن مكانته الحضارية، وقيّمته الثقافية، وهو وصف طويل، ولكنه شامل، وفيه يقول: "نعم الذخر والعقدة هو، ونعم الجليس والعدة، ونعم التشرة

والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة في بلاد  
الغربة ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل، والكتاب وعاءٌ ملىّ علماً، وظَرْفٌ  
حُشي ظَرْفًا، وإناءٌ شُحن مُزاحاً وجداً؛ إن شئتَ كان أبينَ من سَحبانِ وائل، وإن شئتَ  
كان أعيا من باقل، وإن شئتَ ضحكت من نوادره، وإن شئتَ عجبت من غرائب  
فرائده، وإن شئتَ ألتهك طرائفه، وإن شئتَ أشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مُله  
وبزاجر مغر، وبناسك فاتك، وبناطقٍ أخرس، وبياردٍ حارٍّ... ومن لك بطبيبٍ أعرابيٍّ  
ومن لك برومي هنديٍّ، ويفارسي يونانيٍّ، وبقديم مؤلّد، وبميّت ممّتّع، ومن لك بشيءٍ  
يجمع لك الأوّل والآخر، والناقص والوافر، والخفيّ والظاهر والشاهد والغائب والرفيع  
والوضيع، والّغثّ والسمين، والشكّل وخلافه والجنس وضده. وبعد: فمتى رأيت  
بستاناً يُحمل في رُدن، وروضة تُقلّ في حجر وناطقاً ينطق عن الموتى، ويُترجم عن  
الأحياء ومن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى؛ آمن من الأرض وأكتم  
للسرّ من صاحب السرّ، وأحفظ للوديعه من أرباب الوديعه، وأحفظ لما استُحفظ من  
الآدميين، ومن الأعراب من المعربين، بل من الصبيان قبل اعتراض الاشتغال، ومن  
العميان قبل التمتع بتمييز الأشخاص... ولا أعلمُ جاراً أبرّ، ولا خليطاً أنصف، ولا رفيقاً  
أطوع، ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً، ولا أقلّ جنابةً، ولا أقلّ إملالاً  
وإبراماً ولا أحفلَ أخلاقاً، ولا أقلّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلّ غيبةً، ولا أبعدَ من عضيهه  
ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرفاً، ولا أقلّ تصلفاً وتكلفاً، ولا أبعدَ من مرء، ولا أترك  
لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكفّ عن قتال، من كتاب، ولا أعلمُ قريناً أحسن  
موافاةً، ولا أعجل مكافاةً، ولا أحضَرَ معونةً، وأخف مؤونةً، ولا شجرة أطول عمراً  
ولا أجمع أمراً، ولا أطيب ثمرةً وأقرب مُجتى، ولا أسرع إدراكاً، ولا أوجدَ في كلّ  
إبانٍ، من كتاب، ولا أعلمُ نتاجاً في حدائث سنّة وقرب ميلاده، ورُخص ثمنه وإمكان  
وجوده، يجمعُ من التدابير العجيبة والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة  
ومحمود الأذهان اللطيفة، ومن الحكم الرفيعة، والمذاهب القويمه، والتجارب  
الحكيمة، ومن الإخبار عن القرون الماضية والبلاد المتنازجة، والأمثال السائرة  
والأمم البائدة، ما يجمعُ لك الكتاب". (الجاحظ، ج 1 ص 12 - 13).

لكأن الجاحظ وهو يصف الكتاب إنما يصف بديله لهذا اليوم وهو الحاسوب ولا سيما المحمول.

ولا بد في الختام من القول إن الحاسوب ليس معجزة، وليس بإمكانه أن يصنع معجزة، وما هو بعضاً سحرية تفعل المستحيل، وهو لا يعمل وحده، ولا بد من إنسان يغذيه بالبرامج ولا بد من إنسان يتعامل معه، وفي حالة الطفل، لا بد له من توجيه ورعاية وإرشاد، وهو يعمل على الحاسوب، سواء في المدرسة أو مقهى الحاسوب أو البيت، ولا تتحقق الغاية المرجوة من الحاسوب، إلا إذا عم وانتشر لأن النهضة لا يصنعها فرد، ولا تتمثل في حالة خاصة، وإذا ترك الأمر كله من غير وعي وتخطيط فقد يقود إلى غير ما هو متوقع.

إن تعليم الطفل وتعلمه بوساطة الحاسوب سيحدث تغييراً كبيراً في عالم الطفل بل سيحدث تغييراً كبيراً في العالم كله، والمرجو لهذا التغيير أن يكون دائماً في خير الإنسان.

## المراجع:

- 1- بيكرتون، ديريك، **اللغة وسلوك الإنسان**، تر. د. محمد زياد كبة  
جامعة الملك سعود، السعودية، 2001.
- 2- الجاحظ، **الحيوان**، تح. عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت  
ط. 3، 1969.
- 3- جيتس، بيل، **المعلوماتية بعد الإنترنت**، تر. عبد السلام رضوان، سلسلة  
**عالم المعرفة**، الكويت، العدد 231، مارس آذار، 1998.
- 4- سبندر، ديل، **مدرسة المستقبل**، تر. عيسى إسماعيل، **مجلة بناء الأجيال**  
دمشق، العدد 46 شتاء 2003.
- 5- السيد، د. محمود أحمد، **في طرائق تدريس اللغة العربية**، مطبوعات  
جامعة دمشق، دمشق، 1988.
- 6- غنيم سيد، **اللغة والفكر عند الطفل**، **مجلة عالم الفكر**، الكويت  
المجلد الثاني العدد الأول، أبريل مايو يونيو، 1971.
- 7- المعتوق، د. أحمد محمد، **الحصيلة اللغوية**، سلسلة **عالم المعرفة**، الكويت  
العدد 212، أغسطس آب 1996.
- 8- اليافي، د. عبد الكريم، **دراسات فنية في الأدب العربي**، دمشق، 1972.